ما هو المقصود من تأليف

الكتاب الأخضــر

الأخ أبو الشيماء

يذكر ابن خلدون في مقدمته أن الناس قد حصروا مقاصد التأليف التي ينبغي اعتمادها التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها فعدّوها سبعة :

أولها : استنباط العلم بموضوعه وتقويم أبوابه وفصوله وتتبع مسائله أو استنباط مسائل ومباحث تعــرض للعــالم المحقق ويحرص على إيصالها لتعم المنفعة ، فيودع ذلك بالكتاب في الصحف لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة

ثانيها : أن يقف على كلام الأولين وتواليفهم ، فيجدها مستغلقة على الأفهام ، ويفــتح الله لــه في فهمهــا ، فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممن عساه يستغلق عليه ، لتصل الفائدة لمستحقها

ثالثها : أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته ويستوثق من ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه ، ويحرص على إيصال ذلك لمن بعده ، إذ قد تعذر محــاه ونزعــه بانتشار التأليف في الآفاق والأمصار ، وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه ، فيودع ذلك الكتاب ليقف الناظر علــى بيان ذلك

رابعها : أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه ، فيقصد المطلع علــى ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ، ليكتمل الفن بكمال مسائله وفصوله ولا يبقى للنقص فيه مجال

خامسها : أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبــها ويهذبها ويجعل كل مسألة في بابها

سادسها : أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى فيتنبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفــن وجمع مسائله فيفعل ذلك ويظهر فن ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم

سابعها : أن يكون الشيء من التواليف التي هي من أمهات الفنون مطولاً مسهباً ، فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك بالاختصار والإيجاز للمتكرر إن وقع ، مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخلّ بمقصد المؤلف الأول

ويقول ابن خلدون : فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء ، ونعوذ بالله من العمل فيما لا ينبغي للعاقـــل ســـلوكه والله يهدي للتي هي أقوم

ولقد رجعت إلى (الكتاب الأخضر) أقلب صفحاته بكل موضوعية وأستعرض ما جاء بفصوله حتى أتبين المقصد الذي أراده مؤلفه فلم أجده واحداً من هذه المقاصد السبعة ، وإنما وجدته محاولة لصرف الناس عن المنـــهج الـــذي ارتضاه خالق الناس ليعيشوا وفقاً له إلى منهج أرضي يفرض عليهم بقوة السلطان والتسلط على رقاب الناس ..

فالكتاب يحمل اسم (النظرية العالمية الثالثة) ، وهنا أقول لأصحاب النظريات الأرضية : إنّ كل نتاج عقول البشر في تغيّر وتبدل دائمين ، فحين يضع صاحب النظرية حلاً أو حلولاً لمشكل إنساني يكون حماســـه والحمـــاس الـــذي يتمكن أن يبعثه في تلامذته من عوامل قصور هذه النظرية ، ومما (يزيد الطين بلة) كما يقولون ، حينما يكون صاحب النظرية ممن يملكون سلطان تطبيق النظرية على الناس بالقوة ، كما هو الحال مع صاحب (النظرية العالميـــة الثالثـــة) . والشاهد على صدق الحقيقة المشار إليها من تبديل وتغيير النظريات في الواقع العملي في العالم ، هو مـــا نقـــرؤه أو نسمعه الحين بعد الآخر من تبدل وتغير النظريات والتشريعات الوضعية حتى تعالج مشاكل الجماهير التي ظهرت أثناء التطبيق ، والغريب من أنصار نظرية معينة أنه ينتدب أحد المغرورين نفسه ليغير الأوصاف والحلول التي ســـرعان مـــا تصطدم بالواقع العملي أثناء التطبيق مرة أخرى ، ويتضح قصورها وهكذا ..

ولكن حلول الإسلام للمشكلات الإنسانية .. لأنها تنطلق من حقائق الفطرة ومنـــزلة ممن خلق الفطـــرة ، فـــلا يزيدها طول التطبيق وتبدل المجتمعات إلاّ رسوخاً ، ويبرز في كل جيل نموذج من أبناء هذا الجيـــل الـــذي يطبقـــون الإسلام فيظهر للناس مصداق هذه الحلول ، وهنا يظهر إبداع الإسلام المتمثل في ثباته وتقلب غيره في التخبط والتبدل

فالحمد لله الذي منّ على الأمة الإسلاميّة بحفظ كتابها من كل تحريف أو تبديل ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَـــهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : 9] ، وجعلها حاملة لخير رسالة تصلح بها الحياة ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـــأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ... ﴾ [آل عمران : 110]

وصلى الله تعالى وسلم على من جعله خير مبلغ لأفضل رسالة ، وأحله في الذروة من هذه البشرية وأمرها باتباعه ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ... ﴾ [آل عمران : 31] ، فلقد رسم للأمة –بوحي من ربـــه– المعالم الخالدة والأسس الثابتة تاركاً لاجتهاد أبنائها التفاصيل التي تتبدل بتبدل الظروف والأحوال

ورضي الله تعالى عمن جعل منهم نماذج بشرية لم تحظ البشرية بمثلهم في الحكم بما أنزل الله على أســـس العـــدل والمساواة والشورى والحرية ، والحمد لله من قبل ومن بعد الذي قيض لهذه الأمة في كل عصر من ينير لهـــا الطريـــق ويزيل عنها الزيف والدخل

ولقد قرأت (الأركان الثلاثة للنظرية العالمية الثالثة) بالفصول الثلاثة للكتاب الأخضر حتى أحظى منها بإشـــارة أو اكتشاف لشيء جديد حققه المؤلف وأودعه الكتاب لينتفع به من يأتي من بعد فلم أجد !!!

كما حاولت أن أرجع إلى أصل الكتاب عسى أن أجد أن هناك غموضاً أو خلطاً أو خطأ في بحث ســـابق أراد المؤلف أن يبينه لمن بعده فلم أجد سوى اتهامات وانتقادات لبعض النظريات الأرضية في السياسة والاجتماع بالقصور –ولعل صاحب الكتاب محق في غالب هذه الاتهامات والانتقادات– ولكنه للأسف الشديد (فسر الماء بعـــد الجهـــد بالماء) كما يقولون ، فلقد عالج القصور بقصور جديد

ولقد أطلق على محتويات الكتاب (أطروحات أو مقولات) ، ويؤكد ناشر الكتاب (أن فكر معمر القذافي يفـــسر الحياة وينبثق من قلبها .. من قلوب المعذبين والمقهورين والحزانى والمحرومين .. من قلب الواقع المتنامي المتصارع أبداً بحثاً عن الأفضل والأجمل) ، وهذا مما يوضح لنا بداهة أن الكتاب ليس متابعة لبحث قديم ولا يقوم بترتيب عناصـــر مؤلف سابق لجعله أقرب إلى المنطق وأكثر منهجية وأفضل أسلوباً ، وليس اختصاراً لمطول وحذفاً لمكرر

وللاستدلال على قصور ما جاء في فصول الكتاب ، بل والمعاداة الصريحة للإسلام ومحاولة فرض هذا الفكر قسراً على أبناء الشعب المسلم ، أبين ذلك بالدليل على وجه من السرعة ، إذ أن كل صفحة من صفحات الكتاب تـــصلح دليلاً على ذلك ، فأقول وبالله التوفيق :

إنّ المتأمل في الفصل الأول لا يجد –فضلاً عن التناقضات– سوى الحديث عن أداة الحكم (الديمقراطية) ، ولا يجد الإنسان حديثاً عن الحقوق العامة مثل الحقوق الدستورية والإدارية والدولية والمالية العامة والحرية .. وهذه الحقـــوق هي التي تنظم العلاقة بين الفرد والدولة أو بين الفرد والمجتمع ، ولعل ذلك –والله أعلم– مقصود من صاحب الكتاب حتى يعطي الكتاب مادة تكشف الحكم الاستبدادي (الدكتاتوري) القائم في ليبيا والذي يناهض الإسلام والمسلمين ، هذا الحكم الذي يريد لأفراد الشعب أن يعيشوا في ظلام الجهل محرومين من نور المعرفة

وليعلم مؤسس (الجماهيرية) أن إنهاء الحكم الاستبدادي (الدكتاتوري) القائم في ليبيا وإقامة الحكـــم الإســـلاميّ الشوري الصحيح هما من أهم شروط التحرر الحق والبناء القوي المتين

وأما الفصل الثاني فلم أجد فيه –فضلاً عن التناقضات أيضاً– سوى الإشارات الـــسطحية لـــبعض المـــشاكل في الاقتصاد التطبيقي ، وإنني أقول لصاحب الكتاب الأخضر ، رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ، إنّ التـــأليف في بـــاب

واحد من أبواب الاقتصاد التطبيقي قد يحتاج إلى حياة عالم متخصص يقطع له من الوقت والجهد ما يمكنـــه مـــن أن يؤلف فيه ما ينفع الناس ، يقول الكاتب في صفحة 9 من الفصل الثاني (إنّ المشكل الاقتصادي لم يحل بعد في العالم) ، ثم يقول في ص 38 و39 (إلاّ أن الكتاب الأخضر لا يحل مشكلة الإنتاج المادي فقط بل يرسم طريق الحل الـــشامل لمشكلات المجتمع الإنساني ليتحرر الفرد مادياً ومعنوياً تحرراً نهائياً لتتحقق سعادته)

والسؤال ، كيف يحل المشكل الاقتصادي ؟

والإجابة كما وردت في الكتاب الأخضر تتلخص في العبارات الآتية : (الذي ينتج هو الذي يستهلك) و(شركاء لا أجراء) و(البيت لساكنه)

وبتحليل سريع وبسيط لهذه العبارات يتضح لنا أن قائلها لم يستوعب أو يفهم ماذا تعنيه ، والدليل علـــى ذلـــك يتضح مثلاً بالنسبة للعبارة الأولى (الذي ينتج هو الذي يستهلك) ، فيمكن القول ببساطة إنها خاطئة ، لأن (العقيـــد وجميع أفراد اللجنة الشعبية الذين تفرغوا للعمل السياسي وأفراد القوات المسلحة وجنود الجيش الأخضر .. وقطاعات كبيرة من أفراد الشعب) مستهلكون وليسوا منتجين .. مسكين ذلك المنتج الحقيقي الكادح من أبناء الشعب الـــذي ينتج ليستهلك العقيد وأعوانه ، وهؤلاء يضحكون عليه فيقولون له (الذي ينتج هو الذي يستهلك)

وأما القول (شركاء لا أجراء) فيستطيع أن يطبقه الحاكم على المؤسسات والشركات والمـــصانع القائمـــة الآن ، ولكن إذا أراد أبناء الشعب في المستقبل أن يعملوا ، وأمسك أصحاب رؤوس الأموال عن إنشاء المـــصانع والمعامـــل وتأسيس الشركات ، فكيف يصبح هؤلاء مجرد أجراء لا شركاء ، وحتى إذا اقترضت الدولة أموالاً لتنشئ لها هـــذه المصانع ، فهل يمكن لمن يعمل في مثل هذه المصانع أن يمتلك أموالاً أجنبية اقترضتها الدولة لتنشئ بها هذه المصانع ؟ .. مسكين ذلك العامل الكادح الذي قد لا يجد العمل ، ويضحك عليه النظام الاستبدادي بشعار (شركاء لا أجراء)

وأما عبارة (البيت لساكنه) ، إن أمكن تطبيقها الآن بقوة السلطان ، فما هو الحال إذا أراد شاب أن يكوّن أسرة جديدة ولا يجد المسكن ولا يجد من يبني له مسكناً يسكن فيه حيث أن الذي يبني مسكناً ويعطيه للساكن يسكن فيه ويصبح ملكاً له يصبح مجنوناً ، إذ أنه يقدم المال في هذه الحالة بمثابة هدية للساكن ، فمن أين للساكن الجديد بيـــت يسكن فيه لا ليملكه إذا أمسك أصحاب رؤوس الأموال عن استثمار أموالهم في بناء مساكن جديدة ؟!

أظن الإجابة أن تقوم الجماهيرية باقتراض أموال لتبني مساكن جماعية أو تأمر بأن يسكن الناس القبور !!!

وأما الفصل الثالث فلقد بدأ مباشرة بإعلان الحرب على الدين ، حيث ورد في صفحة 5 من الفصل الثالث : (إنّ المحرك للتاريخ الإنساني هو العامل الاجتماعي أي القومي) ، وورد في صفحة 11 : (وليس هناك منـــافس للعامـــل الاجتماعي في التأثير على وحدة الجماعة الواحدة إلاّ العامل الديني الذي قد يقسم الجماعة القومية والذي قد يوحـــد

جماعات ذات قوميات مختلفة ، بيد أن العامل الاجتماعي هو الذي يتغلب في النهاية) ، وذلك يتعارض صراحة مـــع قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء : 92]

كما جعل الكتاب الأخضر السيادة مستقبلاً محصورة في أصحاب اللون الأسود ، إذ أن سيادة الألوان حتمية من حتميات الدورات التاريخية الاجتماعية ، وبالتالي فإن السود سيسودون في العالم فيقول في صفحة 65 مـــن الفـــصل الثالث) إنّ آخر عصر من عصور الرق كان استرقاق الجنس الأبيض للجنس الأسود وهذا العصر سيظل ماثلاً في ذهن الإنسان الأسود حتى يشعر أنه قد ردّ اعتباره . إنّ هذا الحدث التاريخي المأساوي ، والشعور المؤلم بـــه ، والبحـــث النفسي عن حالة شعور بالرضا لردّ الاعتبار لجنس بحاله هي سبب نفسي لا يمكن تجاهله في حركة الجـــنس الأســـود ليثأر لنفسه ويسود . مضافاً إلى هذا ما تحتمه الدورات التاريخية الاجتماعية)

وهذا يتعارض مع قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : 139] فلا سيادة لأصحاب أي لون إلاّ إذا ارتبط اللون بالإيمان

ولعلنا نصل في النهاية إلى سؤال واضح ، ما هو مقصد تأليف الكتاب الأخضر ؟ أو بعبارة أخرى ، لماذا تطـــرح هذه (الأطروحات) وتقال هذه (المقولات) التي يطرحها ويقولها (رسول الصحراء) ؟

لعل كاتب الكتاب قد أجاب إجابة صريحة على هذا السؤال في حديثه مع علماء الدين المنشور في جريدة الفجر الجديد بتاريخ 1978/07/05م حيث يقول : (أنا عملت الكتاب الأخضر ، يأتي واحد ساذج ويطعن في الكتـــاب الأخضر ، معنى ذلك أنك تحوله لكي يحل محل كتاب آخر أحمر أو أصفر أو أي لون)

وإنني لأقول لصاحب الكتاب الأخضر لا ، لن يحل محل الكتاب الأخضر كتاب آخر أحمر أو أصفر أو أي لون ، وإنما يجب أن تعلم ، أن المسلمين يتميّزون بكتابهم المنـــزل من رب السموات والأرض ، فهم يختلفون عن أصـــحاب العقائد الفاسدة والمبادئ والنظريات الأرضية ، فالمسلم يعيش على الأرض التي سخرها الله تعالى له ، وفـــق منـــهج سماوي أنزله الله تعالى وأكمله وأتمّ به النعمة ﴿ ... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْـــتُ عَلَـــيْكُمْ نِعْمَتِـــي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ... ﴾ [المائدة : 3] .. والمسلم يعلم يقيناً أن هذا النور الذي أرســـله الله تعـــالى ، إذا اتبعه الإنسان اهتدى إلى الصراط المستقيم ﴿ ... **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَـــنِ اتَّبَـــعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [المائدة : 15-16] .. كما يعتقد المسلم أن الإنسان إذا اتبع الكتب الأرضية سواء كانت ذات لون أخضر أو أحمر أو أصفر أو غير ذلك ، فهو بعيد عن هداية الله ، ولقد حذّر الله عزَّ وجلَّ المسلمين من ذلك ، وإنني أذكّر صـــاحب الكتـــاب الأخـــضر وإخواني أبناء الشعب الليبي بهذا التحذير ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَـــرُدُّوكُمْ**

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُـــدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : 100-101]

وأخيراً فإن المنهج الإسلاميّ يتميز عن المناهج الأخرى في أنه منهج رباني ، فالله عزَّ وجلَّ هو الذي وضعه ، وهو ولي الذين يؤمنون به ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ... ﴾ [البقرة : 257]